

٣٩ - باب قول الله تعالى



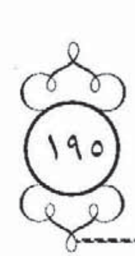
أ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ الآية [النساء: ٦٠].

أ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ .

أراد المؤلف بيان التحذير من التحاكم إلىٰ غير الله وأن الواجب التحاكم إلىٰ شريعة الله في كل الأمور كما قال تعالىٰ : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ . . الآية .

وقال تعالىٰ ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... الظَّالِمُونَ ... الْفَاسِقُونَ﴾ فهذه تدل علىٰ وجوب التحاكم إلىٰ شرع الله وأنه لا يجوز التحاكم إلىٰ غيره كائنا من كان وهذا أصل مجمع عليه .

وتبين الآية أن بعض الناس يدعي الإيمان والإسلام وهو ليس كذلك بل هو من المنافقين . فإذا جاءت الحوادث والخصومات طلبوا التحاكم إلىٰ غير الله وإلىٰ الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله ، وكل من حكم بغير ما أنزل الله عن عمد وهوىٰ ، فالمنافقون يريدون من يوافق هواهم ويأخذ الرشوة ليحكم لهم بغير شرع الله ، وهذا دليل علىٰ نفاقهم وهؤلاء شأنهم الإعراض عن الحق كما قال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾ فالواجب الحذر منهم ومن أخلاقهم الذميمة .



بـ ـ وقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

ج ـ وقوله : ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

د ـ وقوله : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

هـ ـ وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» . وقال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد حسن(٢٠٢).

بـ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ .

فيزعمون أنهم مصلحون مع إفسادهم لجهلهم وضلالهم ونفاقهم انقلبت عليهم الأمور حتى صار الفساد صلاحا ولهذا قال تعالى ﴿وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ .

ج ـ ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ .

وصلاح الأرض باتباع الشرع وتحكيمه ، وفسادها بمخالفة أمر الله والتحاكم إلى غيره .

د ـ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ .

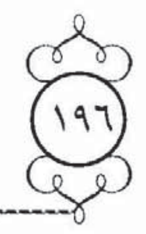
أي يريد هؤلاء المتحاكمين إلى اليهود وغيرهم من الطواغيت التحاكم إلى حكم الجاهلية ، وهل هناك حكم أحسن من حكم الله ؟ فهو أعلم بمصالح عباده والعالم بما تنتهي إليه أمورهم وعواقبهم فهو عالم بكل شيء .

هـ ـ عن عبد الله بن عمر مرفوعا: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» .

---

(٢٠٢) **إسناده ضعيف.**

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) ، وابن بطة في «الإبانة» قسم الإيمان (٢٧٩) ، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤) ، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٣٦٩) وغيرهم من طريق نعيم بن حماد ، عن عبدالوهاب الثقفي ، عن=



وقـال الشـعبي : كـان بين رجل من المنافـقين ورجل من الـيهـود خصـومة، فـقال اليـهودي: نتحـاكم إلىٰ محـمد ، عـرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتـحاكم إلىٰ اليهود، لعلمـه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه ، فنزلت : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[٢٠٣] الآية .

وقيل : نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر ، فذكر

أي لا يؤمن الإيمان الكامل الواجب حتىٰ يكون هواه إرادته وقصـده وطلبه تبعا لما جئت به وهكذا ينبغي أن تكون ميول المؤمن ونياته خاضعة لحكم الله .

وضعف بعض العلماء هذا الحديث ولكن معناه صحيح .

قال الشعبي : كان بين رجلين من المنافقين واليهود خصومة وقيل :

فهذا يدل علىٰ أن المنـافق أشر من اليهود لأنهم يلبسـون علىٰ الناس أمرهم ويحصل بهم الضلال فصاروا بذلك في الدرك الأسفل من النار .

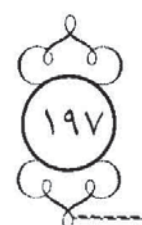
فالواجب التحـاكم إلىٰ شرع الله وعدم الرضىٰ بغيره ،وتدل قصـة عمر أن التحاكم إلىٰ غير شرع الله كفر وردة ،ومن كره حكم الله فهو كافر .

وفي القصتين نظر لكن المعنىٰ صحيح .

= هشام ، عن محمـد بن سيرين ، عن عقبة ، عن عـبدالله بن عمرو ، به ، وفي الإسناد نعيم بـن حماد ، وهو ضـعيف ، وقد ضـعفه الشـيخ الألباني في تحقـيقه لابن أبي عـاصم ، وذكر ابن رجب ، علله في «جـامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٨).

(٢٠٣) **إسناده مرسل** .

رواه الطبـري في تفسـيـره (٩٨٩٦ ـ ٩٨٩٨) من طريق داود ، عن الشعـبي ، وإسناده مرسل لا يصح مرفوعًا لأن الشعبي تابعي.



له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله(٢٠٤).

الشعبي: عامر بن شراحبيل.

فائدة:

«خلق الله آدم على صورته»(٢٠٥) أي خلق الله آدم سميعا بصيرا متكلما ذا وجه ويد وقدم ونحوه مما هو ثابت فالله يسمع وآدم يسمع والله متكلم وآدم متكلم ... ولكن لا يشبهه في الذات ولا في الصفات ﴿ليس كمثله شيء﴾.

أما من قال أن الضمير يرجع إلى آدم فخطأ وقصده الفرار من التشبيه.



(٢٠٤) **موضوع**.

علقه البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (صـ ١٠٧، ١٠٨)، والحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٧) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح متروك، ولم يسمع ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٠ ط. دار الكتب العلمية) إلى الثعلبي.

وصح في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥٤٧)، والطبراني في «معجمه الكبير» (١٢٠٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» من طريق أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس به، قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافروا إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية.

وإسناده صحيح. وصححه الشيخ مقبل الوادعي ـ رحمه الله ـ في «الصحيح المسند» من «أسباب النزول» (صـ ٤١ ـ ٤٢).

(٢٠٥) **صحيح**.

رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (طرف حديث ٢٦١٢).